السجاد الاسلامى ومشتقاته فى أسبانيا

لم يحكم المسلمون بلداً من البلدان إلا وكان أثرهم واضحاً فى تطورها وتقدمها . تطوراً وتقدماً نلمسهما فى مختلف مظاهر الحضارة والثقافة . فهذه أسبانيا أو الأندلس كما كان يسميها العرب ، كانت على عهدهم مناراً للعلم والمعرفة فى الوقت الذى كانت فيه بقية البلاد الأوربية تعيش فى الظلام والجهـــالة ، وكانت كعبة يحج إليها الراغبون فى التعلم والاستزادة من مناهل العلم والمعرفة بها .

وازدهرت بها الفنون والصناعات فغلبت مظاهر البذخ والترف التى كان عليها بلاط الخلفاء وقصور الأمراء المسلمين انظار من كان يفد إليها من الأوربيين وعرفت أسبانيا إبان هذا العهد أنواعاً من الصـناعات لم يكن لها بها عهد من قبل ومن هذه الصناعات صناعة السجاد ، بل إن أوربا نفسها لم تعرفه قبل أسبانيا ، وكان ظهور السجاد الإسبانى فى لندن عام ١٢٥٥ مثار دهشة الانجليز ذلك أنه فى هذا العام احتفل بهذه المدينة بعقد قران ليونور القشتالية إلى ادوارد الأول وغطيت الطرقات والحجرة المخصصة للأميرة بالـكنيسة بالسجاد . بل إن كثيراً من السجلات الأوربية وبخاصة فى فرنسا تنسب السجاد إلى أسبانيا(١) .

ومما يعزز القول بأن المسـلمين هم أصحاب الفضل فى إدخال صناعة السجاد فى أسبانيا هو أنه لم يصل إلينا من مخلفات الفنون التى ازدهرت فى شبه جزيرة أيبيرية قبل أن يفتحها المسلمون ما يدل على أن أهلها كانوا على علم بصناعة السجاد(٢) . وعن أسبانيا عرفت أوربا السجاد .

ولقد اشتهرت عدة مدن أندلسية بصناعة السجاد وحازت منتجاتها شهرة

---

(١) José Ferrandis: Alfombras Antiguas Espanolas p. 31.

(٢) F. Castany Saladrigas · Diccionario de Tejados: articulo, Alfomras

عظيمة بين سجاد البلاد الشرقية . ووصف بعض الكتاب العرب سجاد مدينة جنجالة بأنه لم يعلم له نظير وسجاد مدينة بسطة بأنه لا يقدر بثمن[١] ، ومن البلاد الأخرى التى صنعت السجاد قرطبة[٢] وبياسة[٣] وقونكة[٤] والمرية[٥] وغرناطة[٦] ومرسيه[٧] وينشته[٨] وبلانة[٩] وبنيالة[١٠] أو تنتالة[١١] التى اختصت بصناعة تسفر إلى بلاد المشرق .

ونلاحظ أن هناك خلافاً بين الأساتذة الأسبان حول بنيالة وتنتالة وهى التى يقابلها فى اللغة الأسبانية chinchilla (جنجالة) إذ يذهب بعضهم أن مركز صناعة السجاد كان فى بنيالة اعتماداً على ما ورد على لسان ابن سعيد والشقندى فى حين يرى البعض الآخر أنها تنتالة على حد قول المقرى ولكن chinchilla (جنجالة)[١٢] هذه بلدة أخرى خلاف السابقتين وتقع فى إقليم البسيطة albacete بينما توجد البلدتان السابقتان فى إقليم مرسية فليس لنا أن نخلط بين الاثنين وربما

---

(١) الحميرى : الروض المعطار مادة بسطة (طبعة ليفى بروفنسال) .

(٢) C. Sanchez-Albornoz : La Espana Musulmana vol I p. 332.

(٣) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٢٤ ؛
Torres Ballas : Ars Hıspaniae vol. IV p. 205 ; Ibıd : Alfombras Hispanomoriscas Al-Andalus t. IX, fasc. I, p. 233.

(٤) الأدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ص ٢٣٧ ؛
Sandchez-Albornoz : op.cit., vol. I p. 332 ;
J. Ferrandıs : Alfombras Moriscas p. 104.

(٥) Torres Balbas : op.cit. Al Andalus, p. 233.

(٦) Torres Balbas : Ars Hıspanıae, vol. IV, p. 205.

(٧) Simorret : Crestomatia Arabigo. Espeinola p. 52. Gloss. 26.

(٨) المصدر السابق .

(٩) Torres Balbas : Ars Hispaniae,vol. IV, p. 387 ; Florence May. Hispano Moresque Rugs, p. 65.

(١٠) Simonet : Crestomatie, p. 52, 39 Glossario ; Garcıa Gomez : Elogia del Islam Espanol Al Suqundı p. 115 ; Lozoya : Hıstoria del Artc Hispanico, vol. III, p. 313.

(١١) المقريزى : نفح الطيب ص ٢ ص ٩٤ (طبعة القاهرة) .

(١٢) الحميرى : المصدر السابق ص ٨٤ ؛
J. Ferrandis · Alfombras Hispano Moriscas, p. 103-104 ;

اسم بنيالة وتنتالة يدل على بلدة واحدة وأن الخلط نشأ من تصحيف فى نشر النصوص الأصلية للكتب العربية الوارد فيها هذا الاسم .

وقد امتدت صناعة السجاد إلى مدن أسبانية أخرى فاشتهرت كل من الكرز(١) ولينور(٢) وليانور(٣) وبلنسية(٤) وميورقة(٥) بإنتاج أنواع معينة من السجاد ومما يدل على مبلغ الأثر الإسلامى فى هذا الشأن استخدام كثير من الألفاظ العربية للدلالة على السجاد فى اللغة الأسبانية فقد ظل لفظ القطيفة والطنفسة(٦) مستخدماً فى غرناطة بمعنى السجاد بعد زوال الحكم الإسلامى عنها ، كما أقتبس اسم الحمرة (alfombra) وزربية (Garbia) للدلالة على السجاد .

ولقداستخدمت أسبانيا عقدة خاصة فى صناعة السجاد اشتهرت بها وأصبحت علماً عليها ونسبت إليها وإن لم تكن قد نشأت أصلاً بها وهى العقدة الأسبانية إحدى العقد الثلاث التى استخدمت فى صناعة السجاد الإسلامى . أما العقدتان الاخريان فهما العقدة (سنة) الفارسية والعقدة (جورديز) التركية (شكل ١) .

وتعقد الخصل فى العقدة الأسبانية على خيط واحد من خيوط السداة التى تقسم إلى خيوط فردية وأخرى زوجية ويكون عمل العقد على صف من الخيوط الفردية وعلى الصف التالى له من الخيوط الزوجية(٧) (شكل ٢) الأمر الذى ينتج عنه تعرج الخطوط المكونة للرسم(٨) . أما فى العقدة الفارسية أو التركية

---

(١) J. Ferrandis : op.cit. p. 104 ; ibid : Alfombras Antiguas Espanolas, p. 38.

(٢) Florence-May : Hispano-Moresque Rugs, p. 55.

(٣) J. Ferrandis : Alfombras Antiguas Espandas, p. 48 (٧) : المصدر السابق

(٤) ; ibid : Alfombras Moriscas, p. 104 ; Florence May, op.cit., p. 65.

(٥) Florence - May. op.cit., p. 61.

(٦) J. Ferrandis : Alfombras Antiguas Espanolas, p. 29, 62.

(٧) Florence - May. op.cit., p. 24.

(٨) J. Ferrandis : op.cit., p. 19.

اللتان سادتا فى الشرق فتعقد الخصل حول خيطين من خيوط السداء على ما بينهما من خلاف فى طريقة عمل العقدة .

ويجب أن نشير هنا إلى أن العقدة الأسبانية ظلت هى العقدة الوحيدة المستخدمة فى أسبانيا حتى القرن ١٧ م حيث أقبل الصناع على استخدام العقدة التركية التى قدر لها أن تسود فى صناعة السجاد الأسبانى ابتداء من هذا التاريخ وبخاصة فى كل من قونكة وسلمنكة ومدريد وأقليم بلنسيه(١) .

ونعتقد أن الفضل فى إدخال صناعة السجاد بالأندلس يرجع إلى المصريين إذ أنهم كانوا يستخدمون هذه العقدة فى صناعة السجاد كما يدل على ذلك أقدم ما وصل إلينا من السجاد المصرى المنسوب إلى العصر الفاطمى(٢) .

وليس ببعيد أن تكون شهرة إقليم مرسية فى إنتاج السجاد راجعة إلى إسكان المصريين هذا الإقليم فى عهد أبى الخطار حسام الدين بن ضرار الكلبى وذلك عندما قام بتوزيع الجنود على ولايات الأندلس عام ٧٤٢ م وكان من نصيب المصريين إقليم بلنسية(٣) .

والعقدة الأسبانية هى التى نراها مستخدمة فى أقدم نماذج السجاد الأسبانى التى قدر لها أن تصل إلينا إلا وهى سجادة المعبد ومجموعة سجاد الاميرال وسجاد هولبين .

ويحتمل أنه كانت هناك طريقتان لعمل العقدة الأسبانية تشاهد إحداهما

---

(١) J. Ferrandis : Alfombras Antiguas Espanolas, p. 18 ; Florence - May. A single-warp knot carpet, p. 94 ; Lozoya : op.cit., p. 394

(٢) Dimand : A Handbook of Mohammedan Decorative Art., p. 279, Fig. 186.

(٣) Levy Provençal : Espana Musulmana (Trad. Esp: par Garcia Gomez) p. 31.

انظر ترجمته فى الضبى : بغية الملتمس ص ٢٦١ — ٢٦٣ .

فى سجادة المعبد والأخرى فى سجاد الأميرال وهولبين ، أو لعل الطريقة القديمة التى استخدمت فى سجادة المعبـد قد أصابها تغير فى سجاد الأميرال وهولبين . لأن سجادة المعبد أقدم من سجاد هاتين المجموعتين فهى ترجع إلى القرن ١٤ م فى حين أن أقدم ما وصل إلينا من سجاد المجموعتين الأخيرتين يرجع إلى القرن ١٥ م . فنجد فى سجادة المعبد أحد طرفى الخصلة يمر أسفل خيط السدى صاعداً إلى الظهور فوق سطح الرقعـة ليمر فوق خيط السدى والطرف الآخر للخصلة الملامس له محتضناً إياها معاً من أسفل ليبرز من جديد على سطح الرقعة بجوار الخيط من الجانب الآخر(١) . أما فى سجـاد الأميرال أوهولبين فتمر الخصلة من فوق الخيط غائصاً طرفاها إلى قاع الرقعة مارين متقاطعين خلف الخيط ليظهر طرفاها على سطح الرقعة فوق الخصلة . هذا ويحتوى السنتيمتر المربع فى أقدم السجاجيد على ٢٠ أو ٢٥ عقدة كما فى سجادة المعبد(٢) .

وقد شاع استخدام الصوف فى صناعة السجاد كما نجد شعر الماعز أيضاً ولـكن بدرجة قليلة جداً . أما الحرير فقد ندر استخدامه وإذا استخدم فيكون ذلك عن طريق النسج أو التطريز لا العقد . وفى السجـاد الفاخر كان الحرير يمتزج بالصوف(٣) .

أما الألوان فهى الأزرق والأحمر والأصفر والأبيض وكانت كلها ألوان نباتية وذلك فضلاً عن الألوان الطبيعية للصوف . وفى أقـدم السجاجيد بقيت خيوط السداة على لونها الأصلى وكذلك اللحمة ثم لونت بعد ذلك باللون الأصفر والأحمر والـكستنائى وقد يصل عدد خيوط اللحمـة إلى ست خيوط

---

(١) Sarre: 14thC Spanish Synagogue Carpet., p. 89.

(٢) زرة المصدر السابق : وفراندز المصدر السابق ص ١٩ .

(٣) فراندز : المصدر السابق ص ٢٠ .

بعد كل صف(١) كما نجد خيطاً واحد(٢) .

هذا وقد سكتت المصادر العربية كما هو شأنها عن ذكر البيانات أو إيراد المعلومات التى تهمنا فى دراساتنا وتنير لنا سبيل التعرف على أنواع السجاد وعناصره الزخرفية وتساعدنا على نسبة التحف التى وصلت إلينا إلى مراكزها التى أنتجتها، غير أن بعض المصادر الأوربية وصفت لنا بعض زخارف السجاد الذى كان يصنع فى غرناطة فذكرت أنها كانت من عناصر هندسية مثل الدوائر والمعينات وما شابه ذلك(٣) . واعتماداً على هذا نسب البعض قطعتى السجاد المحفوظتين فى متحف غرناطة الأثرى إلى أسبانيا معتمدين بصفة خاصة على الأطباق النجمية التى تزخرف إطار القطعتين . ولقد سبق أن أوضحت فى بحث لى نشر فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد(٤) أن هاتين القطعتين مصريتان اعتماداً على الصناعة والزخرفة وقلت أن وجود مثل هذه الأطباق النجمية لا ينهض دليلاً على عدم نسبتها إلى مصر وأضيف أن هـذه الأطباق النجمية ظهرت على آثار مصرية فنجدها تزخرف منبراً خشبياً يرجع إلى القرن ١٤ م موجود الآن بمسجد الظاهر بيبرس وكان أصلا فى مسجد فرشوط وهو من صناعة نجار مصرى إسمه يعقوب بن بركات الهوى كما نجـدها منقوشة على الحجر بإحدى واجهات قبة الجلشنى بمقابر العباسية وترجع هذه القبة إلى القرن الخامس عشر الميلادى .

ويحتفظ متحف النسيج بواشنطن بأقدم ما وصل إلينا من سجاد إسبانى والقطع المحفوظة مصـنوعة من الصوف الذى اتخذت منه خيوط السداة أيضاً

---

(١) فوانرز : نفس المصدر ص ١٧ .

(٢) فلورنس ماى : المصدر السابق ص ٩٥ ، ش ٦ .

(٣) José Ferrandis: Alfombras Antiguas Espanolas, p. 30.

(٤) جمال محرز : سجادتان مملوكيتان بمتحف غرناطة الأثرى (مجلة الدراسات الإسلامية (المجلد الثانى) :

ويصحب العناصر الزخرفية المكونة من رسوم هندسية وأشكال مضلعة بداخلها عناصر أخرى وكتابات كوفية . وهذا التصميم يذكرنا بتصميم مماثل تشاهده فى السجاد المملوكى كما نجده فيما بعد فى بعض سجاجيد هولبين الأسبانية . وهذا يدل على استمرار الأثر المصرى فى صناعة السجاد الأسبانى .

وقد نسب الأستاذ كونل هذه القطع الموجودة فى واشنطن إلى مدينة جنجالة وأرجعها إلى القرن ١٢ — ١٣ م (١) (شكل ٣) .

أما السجاد غير الإسلامى فأنواع وأشهرها سجاد الأميرال وسجاد هولبين .

وقبل أن نتحدث عن هذين النوعين نذكر شيئاً عن أقدم سجادة إسبانية غير إسلامية وصلت إلينا ألا وهى السجادة المعروفة باسم سجادة المعبد وكانت محفوظة بمتحف برلين ويقال أنها كانت فى كنيسة بالتيرول ثم آلت إلى تاجر تحف فى ميونيخ ثم اشتراها منه متحف برلين(٢) .

وزخرفة هذه السجادة غريبة لا نجد لها مثيلاً فى السجاجيد الأخرى وهى عبارة عن عصا طويلة تنتهى بورقة محورة وتحتل هذه العصا منتصف السجادة بطولها فتنقسم ساحتها إلى قسمين ويتفرع من هذه العصى ثلاث عصى قصيرة على الجانبين بزوايا قائمة وتحمل ما يشبه بناء مستطيل الشكل له سقف مسنم (جمالونى) وللبناء باب من ضلفتين وكل ضلفة منهما مقسمة إلى أربعة أقسام بكل قسم زخرفة من خطين متقاطعين كأنهما علامة الضرب ويعلو الباب عقد مدبب والواجهة على جانبى الباب مقسمة إلى مربعات صغيرة بها رسوم طيور

---

(١) Kühnuel : Catalogue of Spanish rugs - 12th C to 19th C. Pls 1,3

(٢) زرة : المصدر السابق ص ٨٩ .

ونجوم وعناصر أخرى ويخرج من جانبى المبنى ستة أفرع تنتهى بشكل خطاف وأسفل البناء شكل مثلث ويزين أحد إطارات السجادة زخرفة من حروف كوفية غير مقروءة(١) . وقد لونت الأرضية بلون أحمر والأطار بلون أزرق .

وقد اختلف علماء الآثار فى تفسير هذا الرسم ودلالته فمنهم من رأى أن الرسم يمثل شجرة(٢) فى حين ذهب الأستاذ زرة إ إلى أن هذا الموضوع يمثل موضوعاً يهودياً هو عبارة عن صندوق من ذلك النوع الذى تحفظ به الألواح(٣) وأن العصا وأفرعها تمثل الشمعدان الذى نجد شبيها له على قطعة زجاج(٤) ويتفق الأستاذ ديماند مع الأستاذ زرة فى هذا الرأى(٥) . ولما كانت هذه الزخرفة شبيهة بزخرفة استخدمت فى الفن اليهودى كفسيفساء معبد بيت ألفا(٦) والأسفار الخمسة المحفوظة بلينجراد(٧) فقد ستنتج زرة أن السجادة قد صنعت لمعبد يهودى

ونحب أن نضيف هنا أن بعض الشمعدانات والأوانى الخاصة بحفظ رفات القديسين كانت تصنع فى العصور الوسطى على هيئة مبان فمنها ما يمثل كنائس وكتدرائيات وعناصر أخرى(٨) وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يكون الرسم الذى يزين سجادة برلين هذه من هذا النوع وإن صح هذا الرأى لا تكون السجادة على هذا الأساس قد صنعت لمعبد يهودى .

---

(١) Thomson : Hispano. Moresque Carpets, p. 100.
وانظر شكل ٧٢٤ من اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية للدكتور زكى محمد حسن.

(٢) تومسون ، المصدر السابق ص ٤٦ .

(٣) زرة : المصدر السابق ٩٥ .

(٤) نفس المصدر السابق شكل ١ .

(٥) ديماند : المصدر السابق ص ٣٢٢ والترجمة العربية للأستاذ أحمد عيسى ص ٣٠٦ .

(٦) زرة : المصدر السابق S .

(٧) نفس المصدر السابق H .

(٨) أنظر مثلا Gomez-Moreno : Provincia de Leon (Catalogo Monumental de Espana), Figs. 536, 600.

وترجع هذه السجادة إلى القرن الرابع عشر الميلادى وهى المثل الوحيد المعروف لنا إلى الآن من هذا القرن إذ أن المجموعات الأخرى من سجاد الأميرال وسجاد هولبين متأخرة عن هذا القرن .

وأول هاتين المجموعتين تلك التى تسمى بالأميرال نسبة إلى أميرال البحر الأسبانى الفونسو انريكز المتوفى عام ١٤٢٩ م وفراد أسرته لأن هذه السجاجيد تحمل رنوكهم . فنجد رنك الفونسو ورنك نورنك انريكز المتوفى عام ١٤٧٣ م وزوجته ماريا دى أيالا المتوفاة عام ١٤٦٨ م وخـوان دى روخاس وزوجته ماريا انريكز وقد عاشا فى عهد خوان الثانى ملك قشتاله (١٤٠٧ — ١٤٥٤) وماريا دى كاستيلاً زوج الفونسو الخامس ملك أراجون المتوفى عام ١٤٥٨ م . ويتراوح عدد الرنوك فى السجادة الواحدة بين ثلاث رنوك وتسع(١) .

وأهم النماذج التى وصلت إلينا من هذه المجموعة هى التى كانت محفوظة بدير سانتا كلارا بمدينة بلنسية وقد أهدت دونيا خوانا مندوزا بعضا منها عليه رنك زوجها إلى هذا الدير على ماتذكر وثيقتها المؤرخة فى ٢٢ يناير ١٤٣١ م وبدير سانتا ايزابلا بمدينة طليطلة . ونماذج هذا النوع من السجاد موزعة بين متاحف العالم والمجموعات الخاصة فنجد منها فى متحف بلنسيه دى دون خوان بمدريد ومتحف بنسلفانيا فى فيلادلفيا ومتحف شيكاغو ومجموعة الكونتس دى بهاج ومتحف الدولة ببرلين ومتحف مدريد الأثرى والكونت تيلنسك والسيدة لانورا وفى السوق عند تجار العاديات .

ولايختلف هذا السجاد عن غيره من سجاد القرن ١٥ م من حيث طبيعة خيوط السداة أو اللحمة وألوانها الطبيعية(٢). ويسود فى تلوين هذا السجاد اللون الأرزق

---

(١) فلورنس ماى : المصدر السابق ص ٣٢ .
(١) فراندز : المصدر السابق ص ٣٤ .

والأحمر الداكن والأسود القريب من اللون الكستنائى الداكن مع ميل إلى انقضاض اللون(١) .

أما المراكز الفنية التى أنتجت هذا السجاد فهى الكرز ولينور وليانور إلا أن اسم المركز الأول طغى على أسماء المراكز الأخرى وبخاصة فى القرن ١٦ م . وصناع هذا السجاد من المدجنين والموريسكيين(٢) وهم المدجنون الذين اضطروا إلى اعتناق الدين المسيحى بعد أن زال الإسلام عن الأندلس .

وكما هو الشأن دائماً فى زخرفة السجاد نجد ساحة تحيط بها أشرطة، والساحة هنا يزخرفها رسم كأنه الشباك مكون من مثمنات ومعينات ونجوم بحيث يخيل للناظر إليها أنه يرى خلية نحل . وداخل كل عنصر من هذه العناصر وحدات زخرفية مختلفة من رسوم نباتية وحيوانية وآدمية ورمزية (شكل ٤) .

ويحيط بالساحة أشرطة كثيرة العدد تصل أحياناً إلى تسع وقد تشغل سطحاً من السجادة أكبر من سطح الساحة وتملأ هذه الأشرطة بعناصر زخرفية كالتى نراها فى الساحة مع إضافة كتابة كوفية غير مقروءة أو هى رسوم تقلد الخط الكوفى (شكل ٥) ومناظر صيد وبخاصة فى الأشرطة التى تستعرض السجادة .

ومن العناصر الزخرفية التى تزين هذه السجاجيد الصليب المعقوف والخطاف وهذه تذكرنا برخارف سجاد القوقاز . كذلك نجد الرسوم التى تمثل المياه غير أنها مهذبة . ويسود بين العناصر النباتية رسم شجرة محورة عن الطبيعة أحياناً لها أفرع أفقية متماثلة وأوراق هرمية الشكل ونجد ما يماثل شجرة الحياة فثمة عمود يسمى عمود العالم يقف على جانبيه حيوانان من الغريفون وهذا التصميم هو أصلاً تصميم ساسانى أخذه المسلمون واستخدموه فى زخارفهم . ونشاهد أيضاً جذع شجرة ذات أفرع مائلة فى دورين .

---

(١) فراندز : كتالوج السجاد الأسبانى القديم ص ٣٥ .
(٢) فراندز : نفس المصدر : ص ٣٢ .

أما الطيور فنجد منها الحمام والبط والطاووس وهى أما وحيدة وأما منفردة أو فى مجموعات . ومن الملاحظ أن جسم الطيور يشبه المراكب (شكل ٦) ومن الحيوانات نجد الأسود الزاحفة التى تشابه ما هو منها على الرنوك ودبيه وجمال وفيلة وثيران وكلاب . وهى وحيدة أو زوجية وقد يصاحبها بعض الطيور . ونلاحظ أحياناً بعض الكلاب واقفة على ظهور حيوانات أخرى (شكل ٧).

أما الرسوم الآدمية فهى مضحكة هزيلة ضئيلة وقد يرسم الأشخاص رافعى الأيدى يرتدون ملابس ضيقة الأطراف أو واسعة جداً وهم على ظهور جمال تقودها خدم وقد يمتطى بعضهم خيولاً .

وتظهر النساء واقفات أو تطل من نوافذ المنازل أو القلاع . والأشخاص فى العادة ذوو رؤوس كبيرة على عنق غليظ وذوو جذع قصير وأيد طويلة وشعورهم قصيرهم مرسلة أو معقوفة إلى أعلا .

ولا تختلف زخارف الأشرطة عن زخارف الساحة كما قلنا اللهم إلا فى الخطوط الكوفية غير المقروءة التى تحتل دائماً الإطار الخارجى كما يزخرف الضلع القصير للأشرطة مناظر الصيد التى تتخلل الأشجار وهى هنا طبيعية أكثر مما هو مرسوم منها فى الساحة فنجد فى إحدى السجاجيد صيادين بيض الوجوه أو سود مسلحين بالسيوف والحراب يهاجمون دببة بيضاء أو سوداء وحمر وعلاوة على ذلك نجد الخنازير والكلاب والطير .

والملاحظ بصفة عامة أن الزخارف محورة عن الطبيعة بدائيه فى رسمها بينها وبين سجاد القوقاز شبه كبير فى بعض العناصر الهندسية كالمعينات والخطاف والنجوم . كما يظهر فى هذا السجاد تأثير قوطى نلاحظه فى بعض الرسوم النباتية (شكل ٨) .

والمجموعة الثانية من السجاد الموريسكى هى التى أطلق عليها اسم سجاد

هولبين نسبة إلى المصور الألمانى هولبين الصغير (١٤٩٧—١٥٤٢م) لرسمه بعض السجاجيد فى لوحاته ، ومن الغريب أن اسم هولبين هو الذى ذاع وانتشر فى حين أنه لم يكن أول الرسامين الغربيين الذين أظهروا هذه السجاجيد فى لوحاتهم . فقد سبقة أكثر من فنان . فمنهم مثلا جيرلنداجو Gherlandajo (عام ١٤٨٤م) وفينزنزو فوبا Vinzenzo Foppa (عام ١٤٨٥ م) وكريفلى Crivelli (عام ١٤٨٦م) . ونذكر فى هذا الصدد أن اسم هولبين قد أطلق أيضاً على مجموعة أخرى من السجاد العثمانى نراها فى رسومه ورسوم غيره من الفنانين الغربيين .

والأسلوب الشائع فى زخرفةهذا السجاد هو تقسيم السطح إلى أقسام متفاوتة العدد تزين بالرسوم الهندسية من مربعات مثمنات ومتشابكات ونجوم إلى غير ذلك من العناصر الهندسية التى نشاهدها .

أما الأشرطة التى تحيط بساحة السجادة فمزخرفة بعناصر هندسية أو نباتية أو كتابات والألوان الغالبة فى هذا السجاد هى الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض (شكل ٨ — ٩) .

ويمكن تقسيم هذا السجاد من حيث أسلوب زخرفته إلى نوعين رئيسيين الأول هو تقسيم السجادة إلى مربعات كبيرة تزين بالعناصر الهندسية ونوزع هذه المربعات فى أشرطة متفاوتة العدد (شكل ١٠ ، ١١ ، ١٢) والنوع الثانى قريب الشبه من النوع الأول غير أن عدد الأشرطة هنا أكثر والمربعات أقل مساحة فتظهرمساحة السجادة كأنها مزخرفة بعدد من المربعات المزخرفة بالعناصر الهندسية المختلفة (شكل ١٣ ، ١٤) .

وأسلوب زخرفة هذا النوع من السجاد أقرب ماتكون إلى أسلوب زخرفة السجاد المملوكى الذى تملأ مساحته الموضوعات الهندسية (شكل ١٥) .

ونلاحظ فى هذا النوع من السجاجيد تأثيراً قوطياً يتمثل فى الرخارف النباتية ببعض الأشرطة (شكل ١٦) .

وقبل أن نختتم هذا البحث يحسن بنا أن نشير إلى تأثيرات إسلامية أخرى وفدت من الشرق وتظهر فى السجاد الأسبانى من القرن ١٧ م ونعنى بها استخدام عناصر زخرفية معينة مأخوذة من السجاد الإيرانى والتركى منها ذلك التصميم الزخرفى المنسوب إلى هراه (شكل ١٧)(١) وثمة سجادة محفوظة بمتحف الآثار بمدريد لا يشك أحد فى نسبتها إلى آسيا الصغرى لولا الرنك الموجود بها . (شكل ١٨) .

جمال محرز

(١) José Ferrandis: Alfombras Antiguas Espanolas, t. XXXIII.

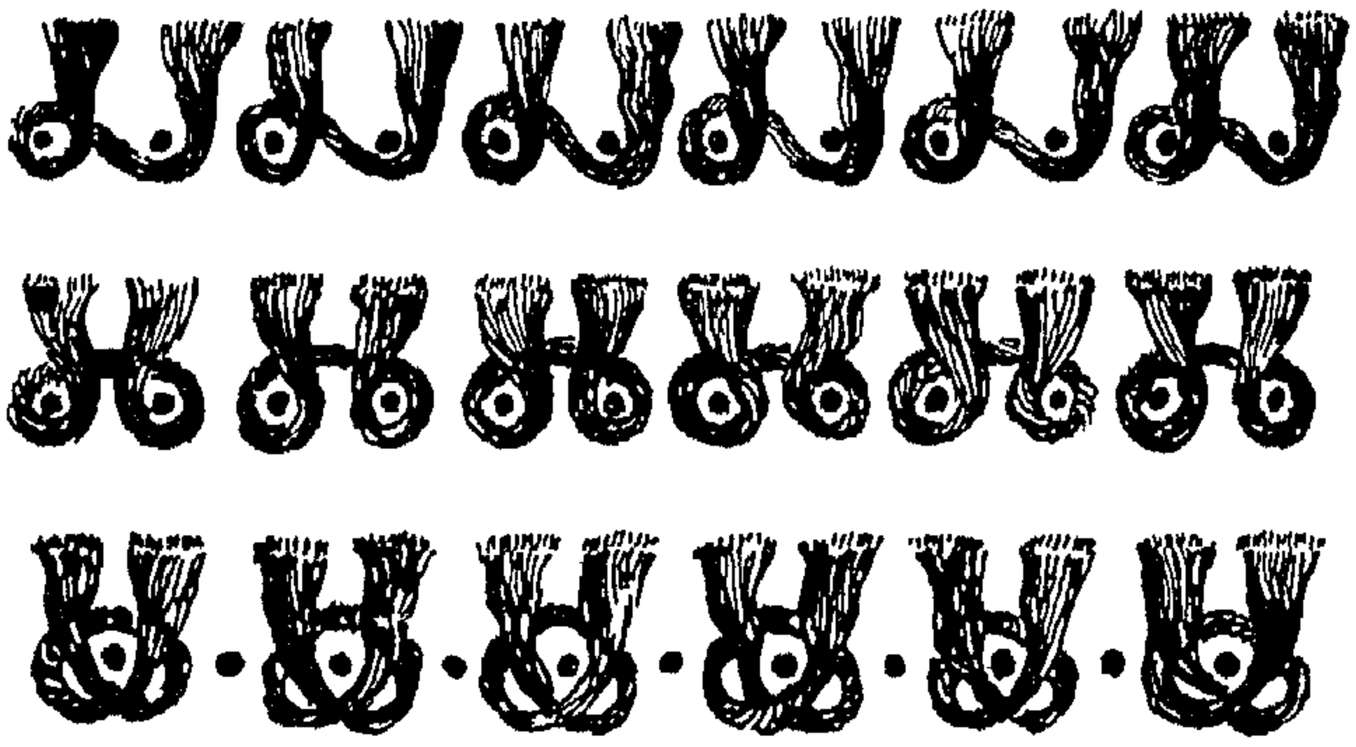

شكل ١ : أنواع العقد فى السجاد الإسلامى
الصف الأعلى : العقدة الفارسية
الصف الأوسط : العقدة التركية
الصف الأسفل : العقد الأسبانية

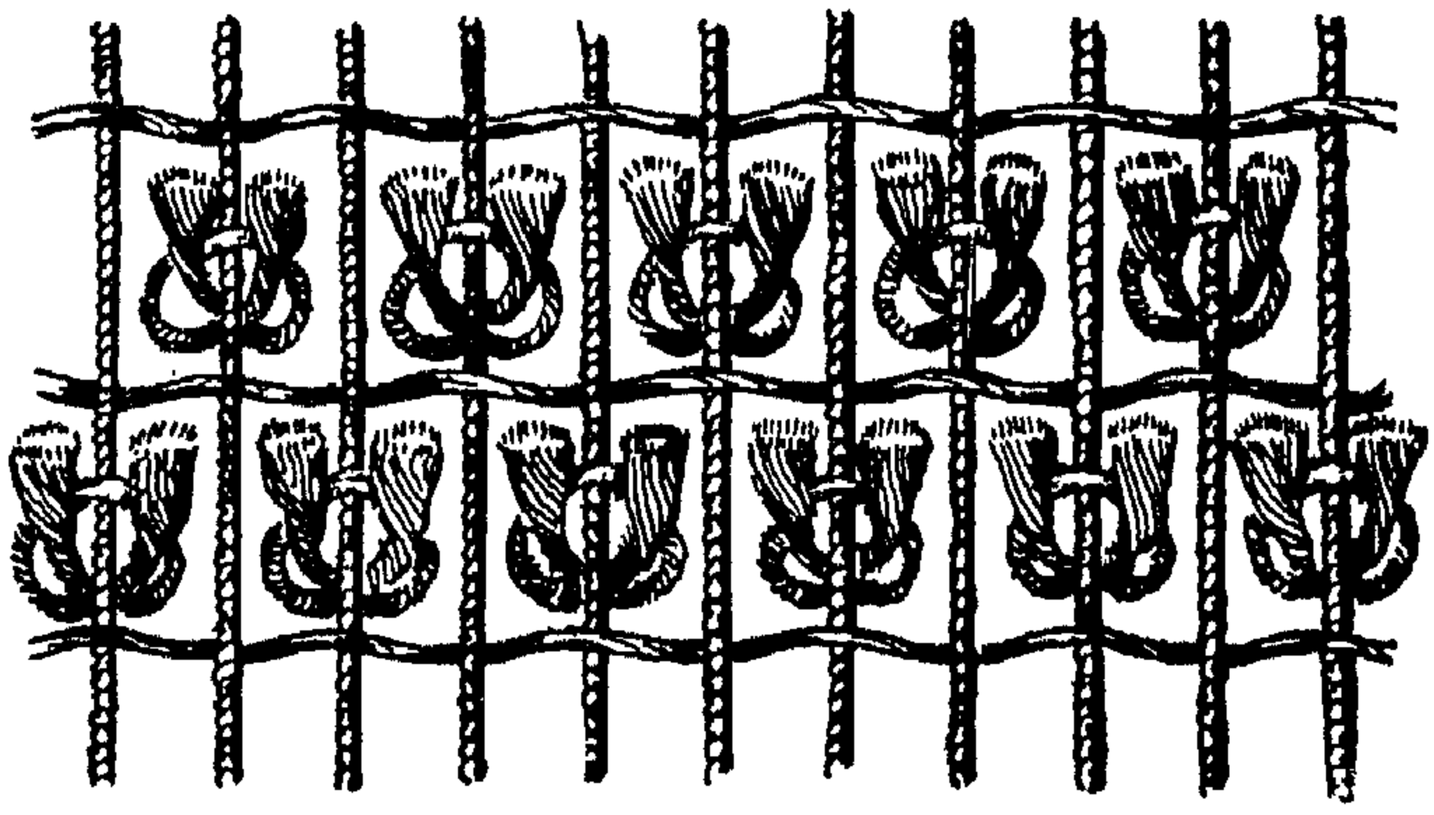

شكل ٢ : العقدة الأسبانية

شكل ٣ : جزء من سجادة انداسية . القرن ١٢ – ١٣ م عليها لفظ اليمن مكرراً

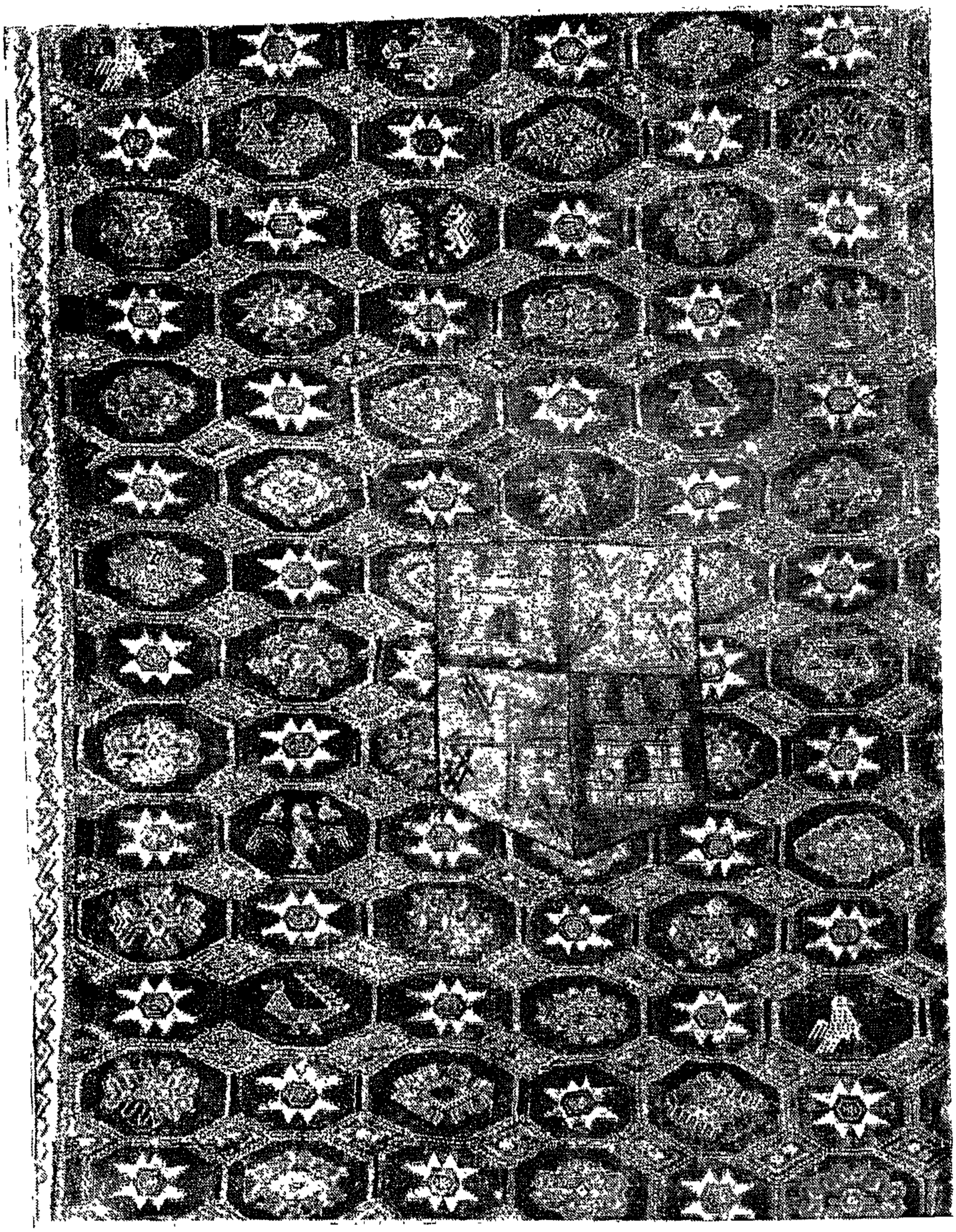

شكل ٤ : جزء من سجادة الاميرال . يظهر عليها رئك احد افراد أسرته .
أسبانيا — القرن ١٥ م

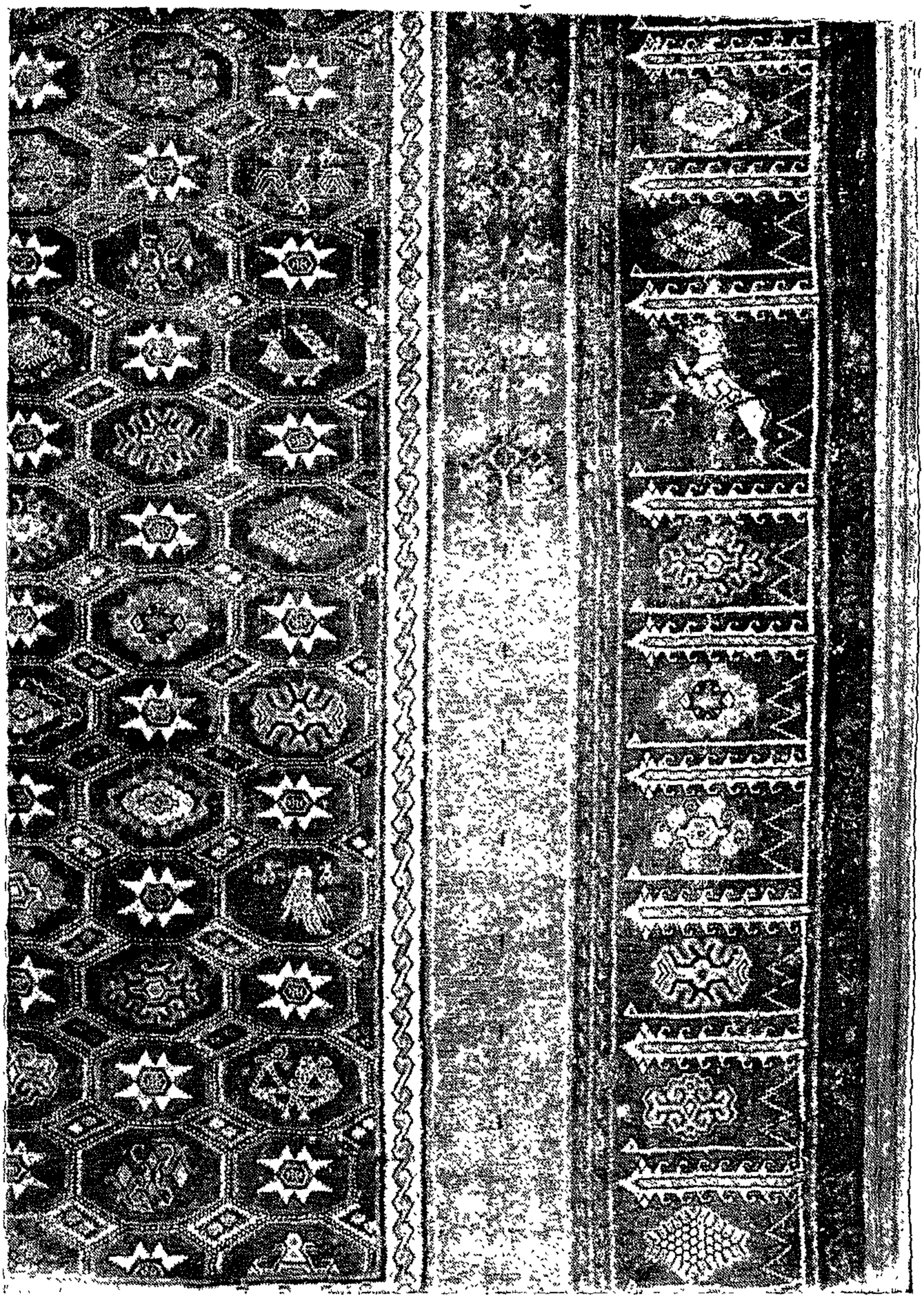

شكل ٥ : جزء من سجادة الأمبرال : بالإطار زخرفة تقلد الكتابة الكوفية . أسبانيا
القرن ١٥ م

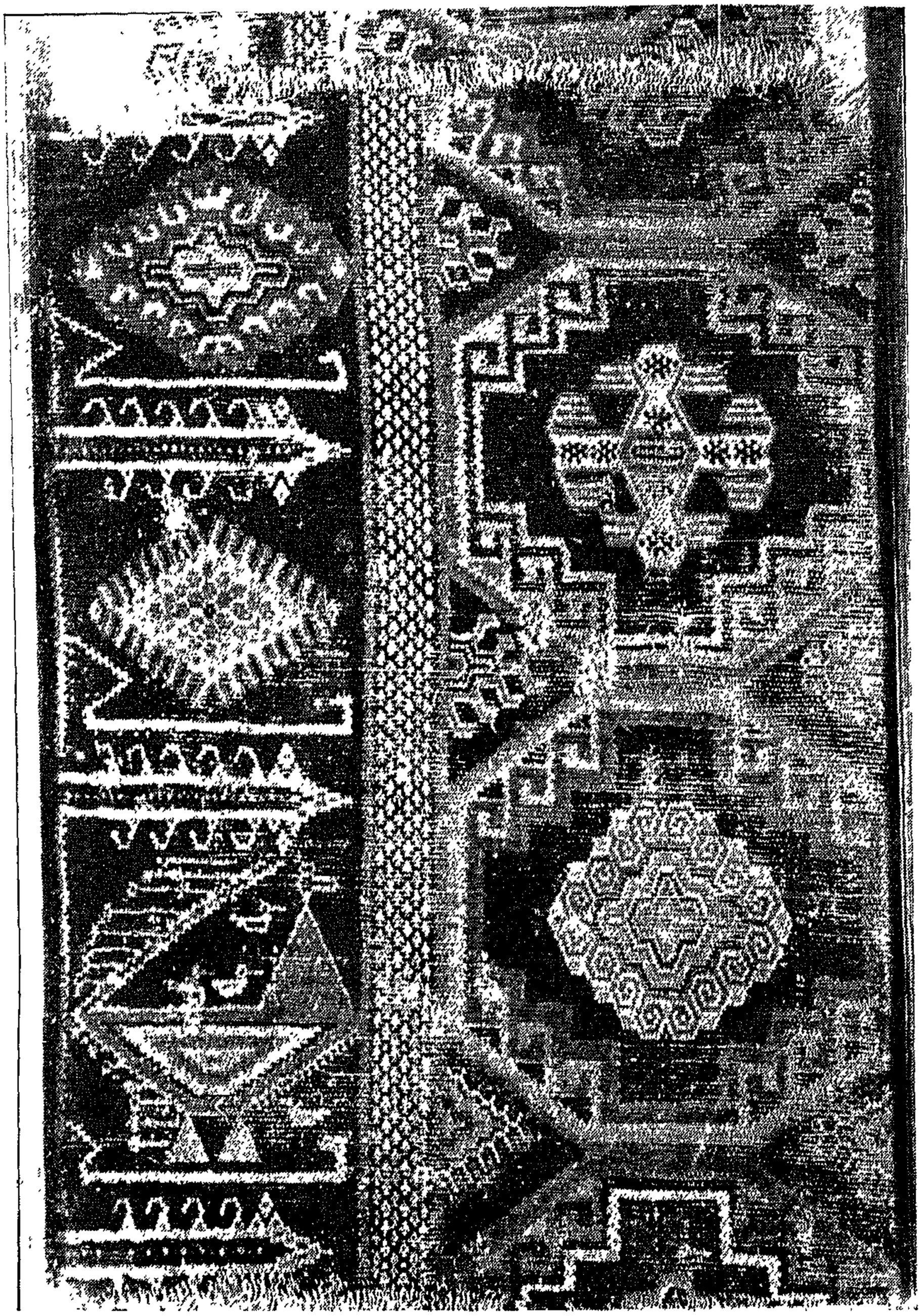

شكل ٦ : جزء من سجادة الأميرال : بالإطار زخرفة تقلد الكتابة الكوفية ، ورسوم للطيور شديدة التحوير . أسبانيا – القرن ١٥ م

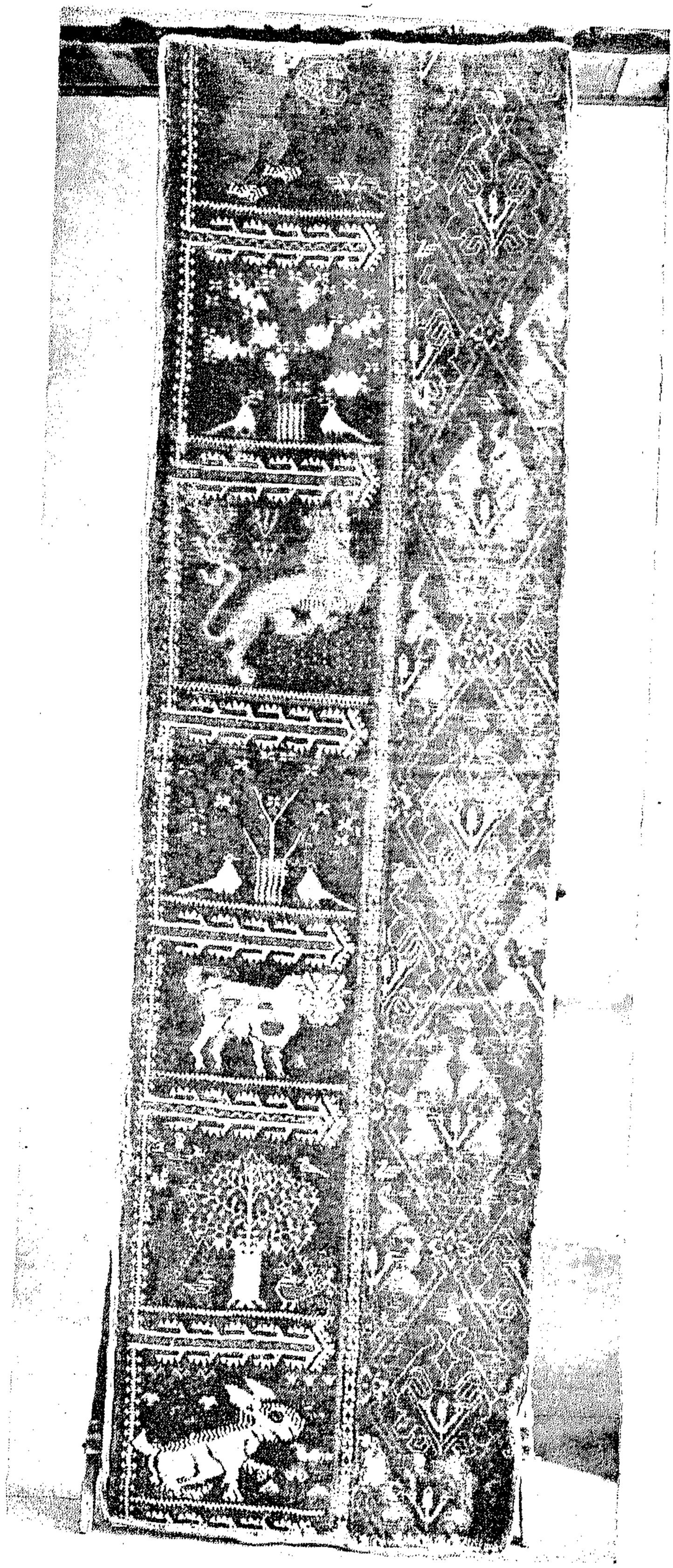

شكل ٧ : إطار إحدى سجاجيد هولبين . يظهر به التاثير القوطى
أسبانيا – القرن ١٥ م

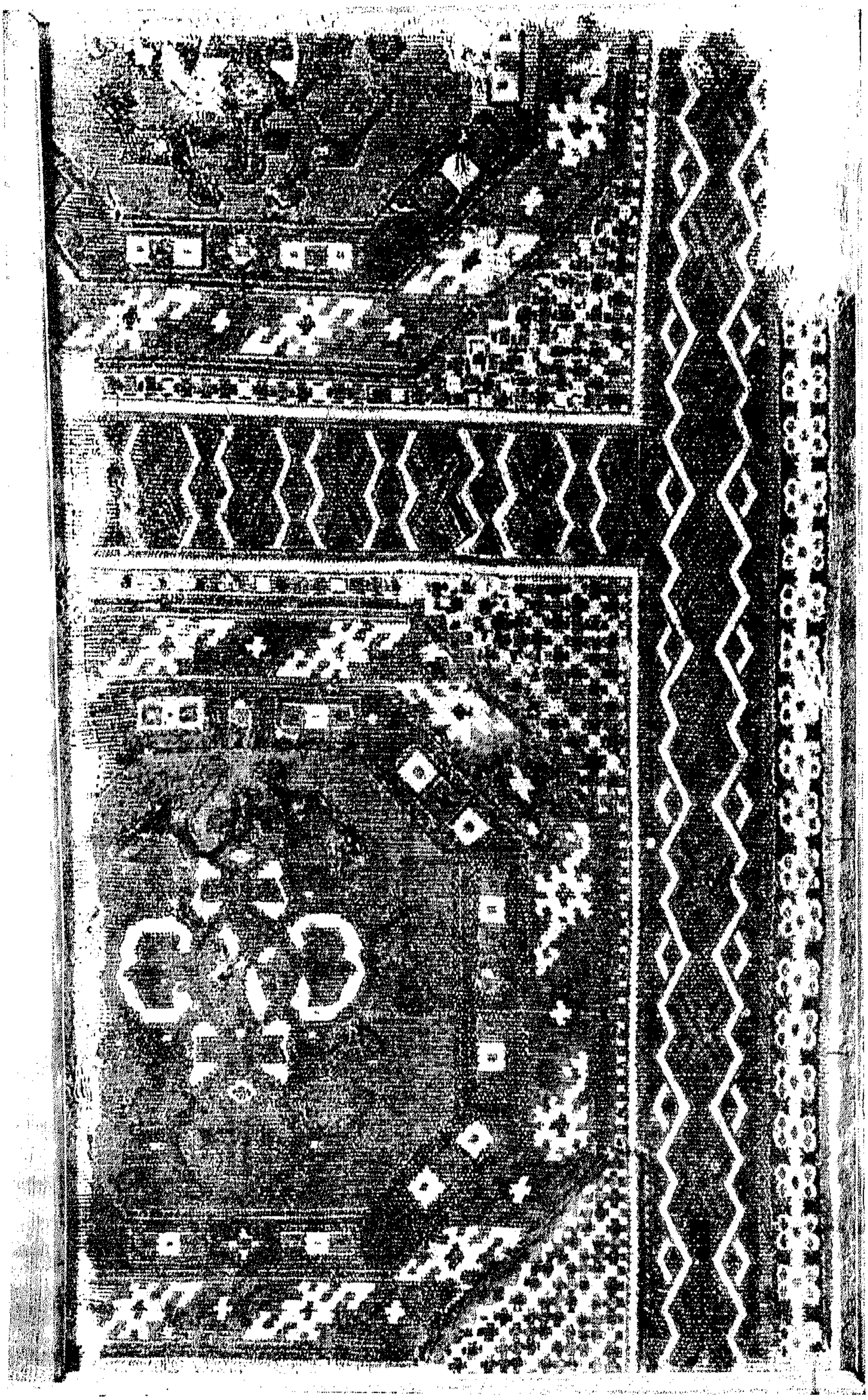

شكل ٨ : جزء من سجادة من لبن أسبانيا – القرن ١٥ م

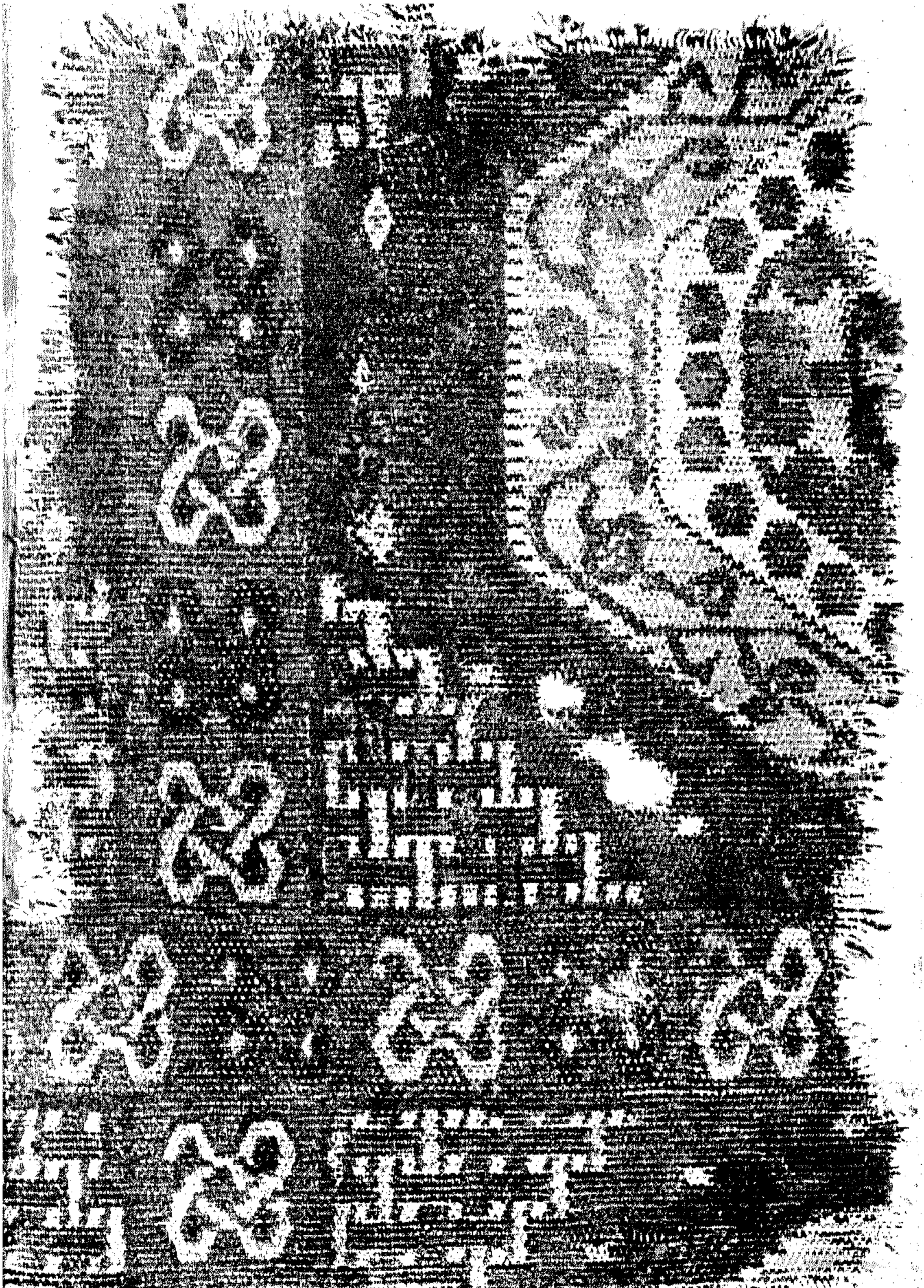

شكل ٩ : جزء من سجادة هولبين . اسبانيا – القرن ١٥ م

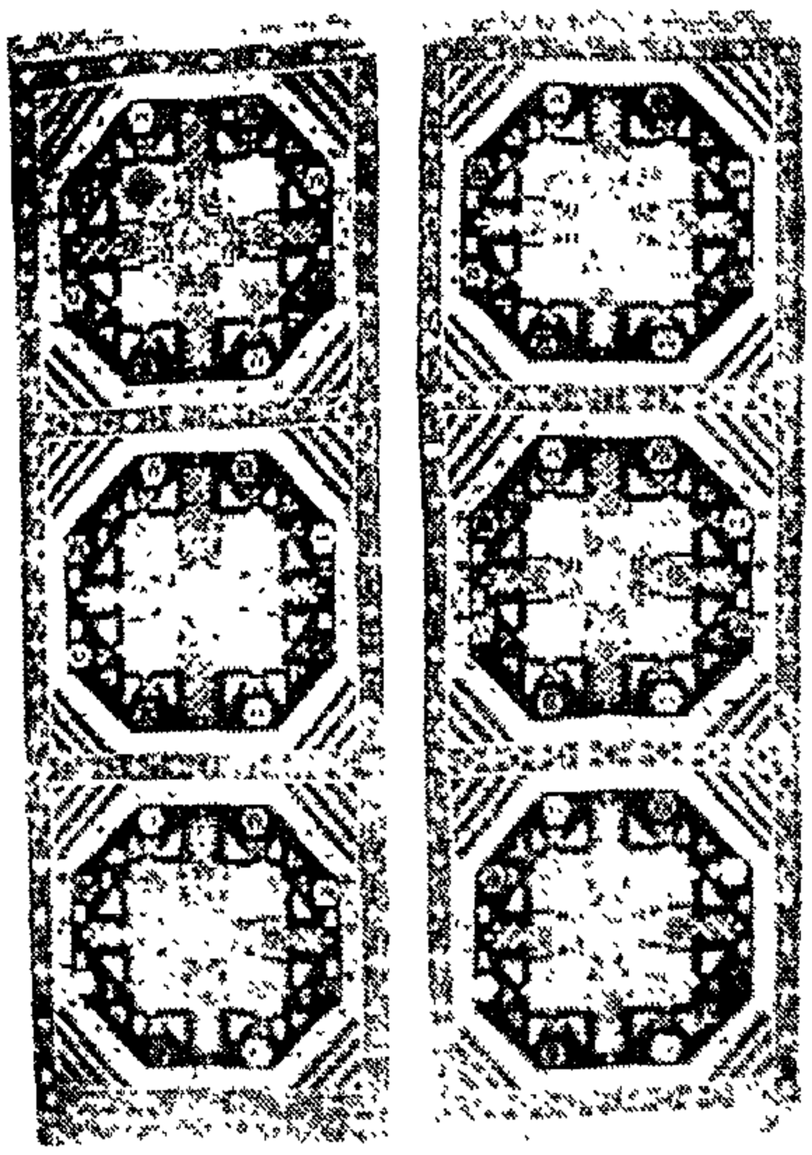

شكل ١٠ : سجادة هولبين
أسبانيا – القرن ١٥ م

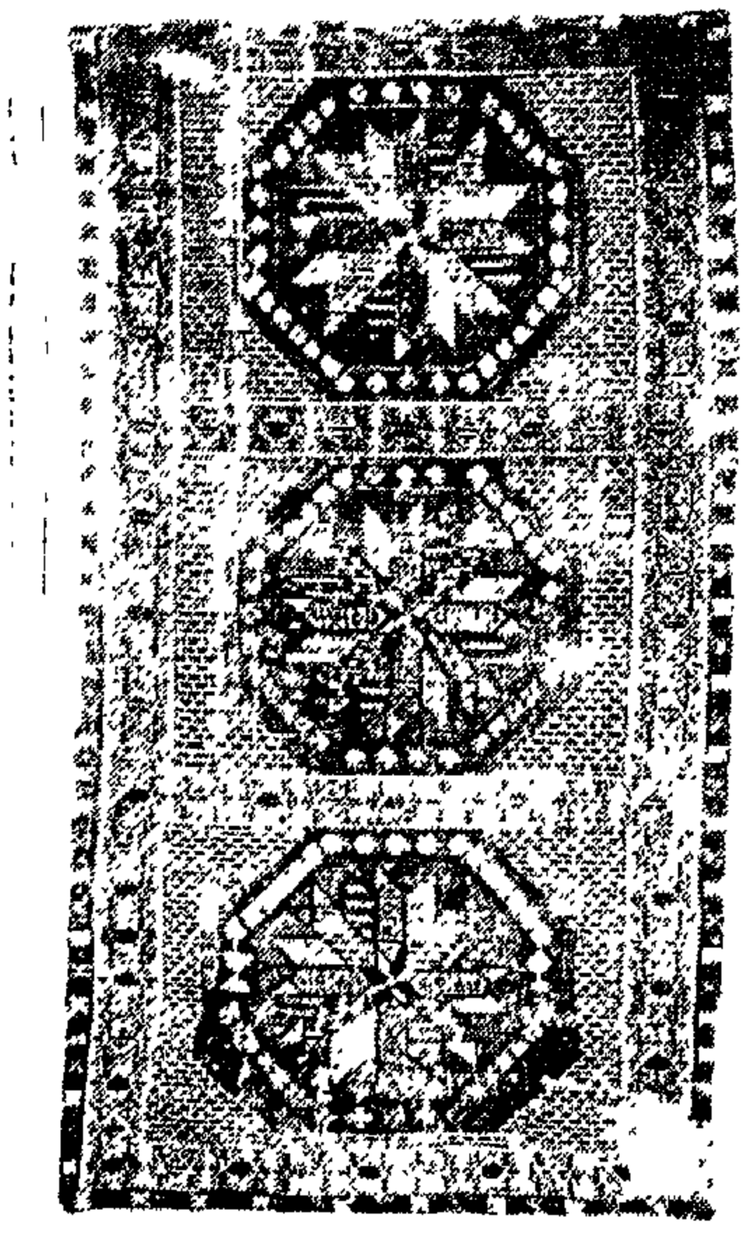

شكل ١١ : جزء من سجادة هولبين
أسبانيا – القرن ١٥ م

شكل ١٢ : سجادة من سجاجيد هولبين
بها تأثير قوطى فى زخارف الإطار.
أسبانيا – القرن ١٥ م

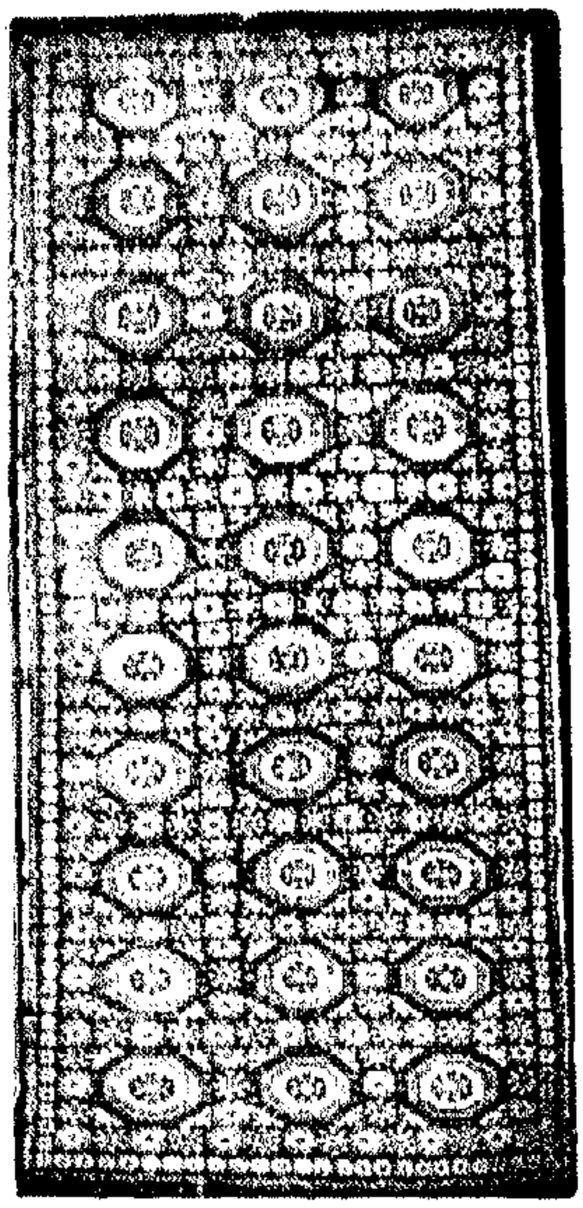

شكل ١٣ : النوع الثانى من سجاجيد
هولبين أسبانيا – القرن ١٥ م

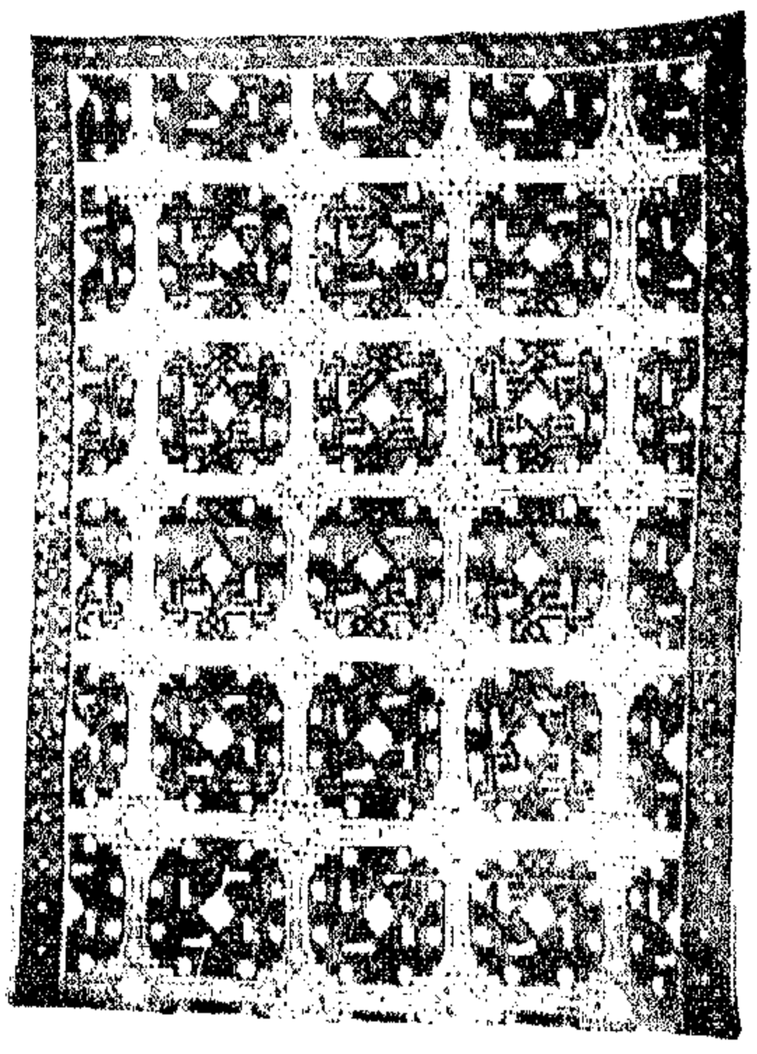

شكل ١٤ : النوع الثانى من سجاجيد هولبين
أسبانيا – القرن ١٥ م

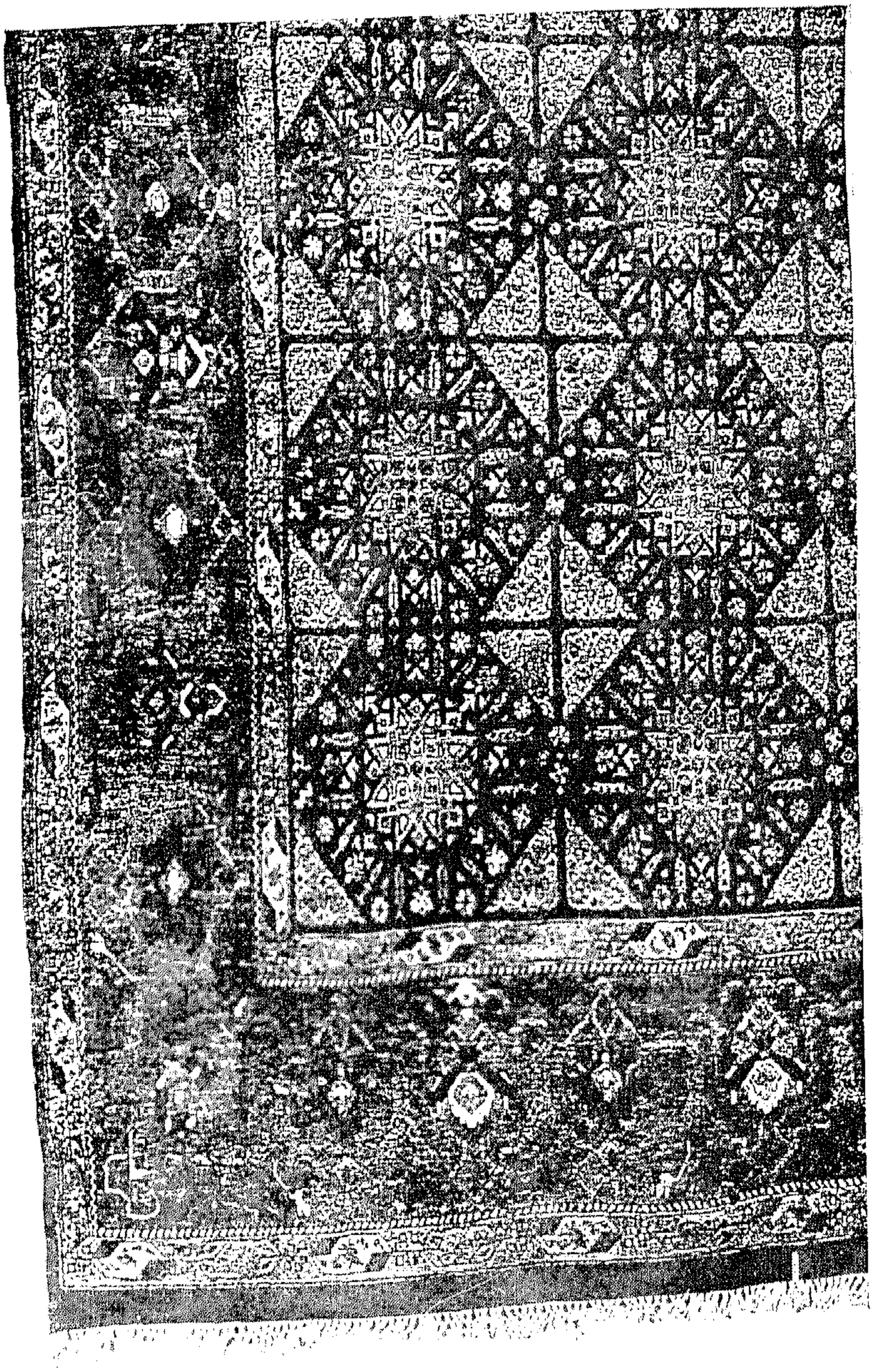

شكل ١٥ : سجادة مملوكية – القرن ١٦ م

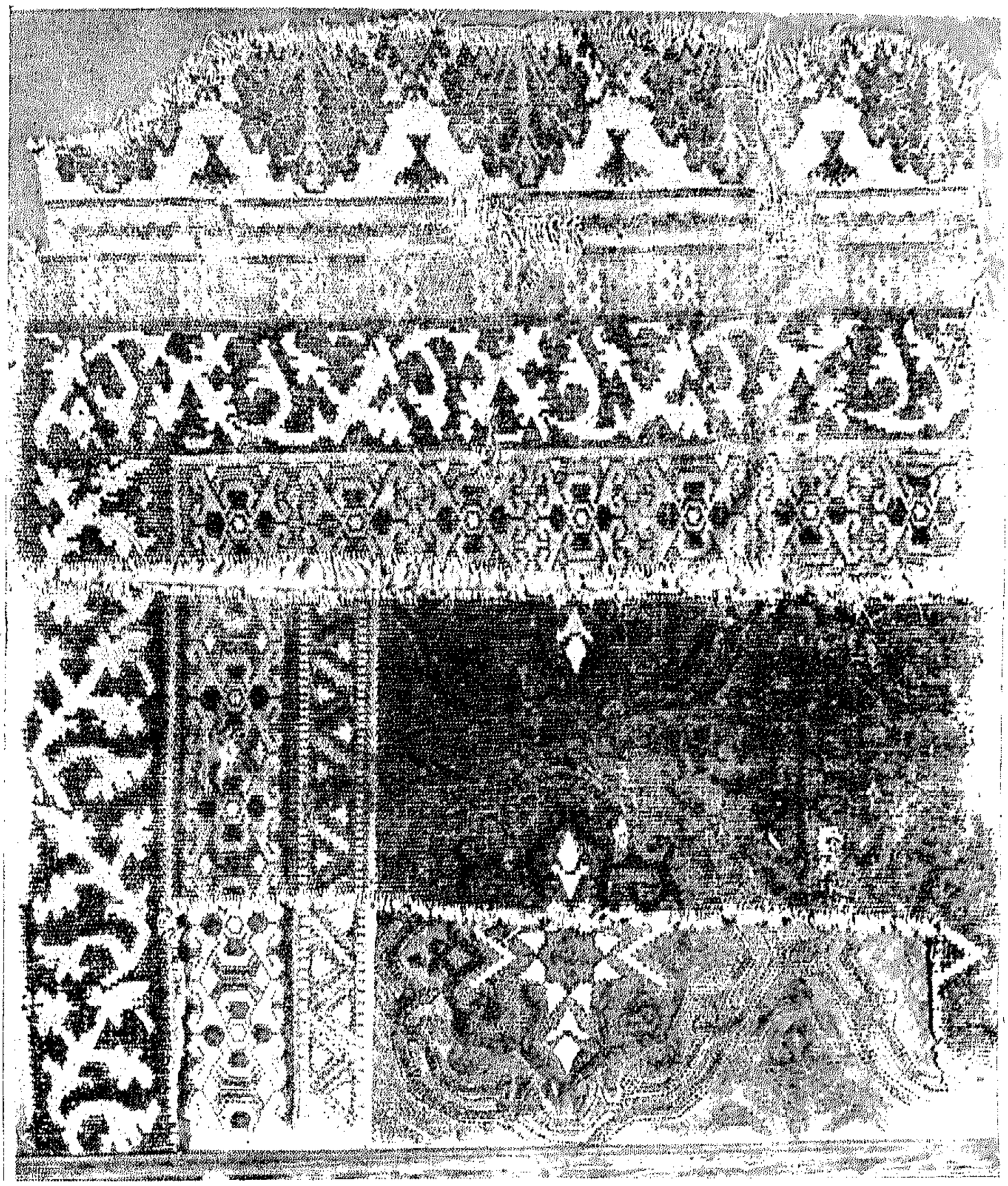

شكل ١٦ : سجادة من سجاجيد هولبين . يظهر بها التأثير القوطى فى زخارف الإطار
أسبانيا — القرن ١٥ م

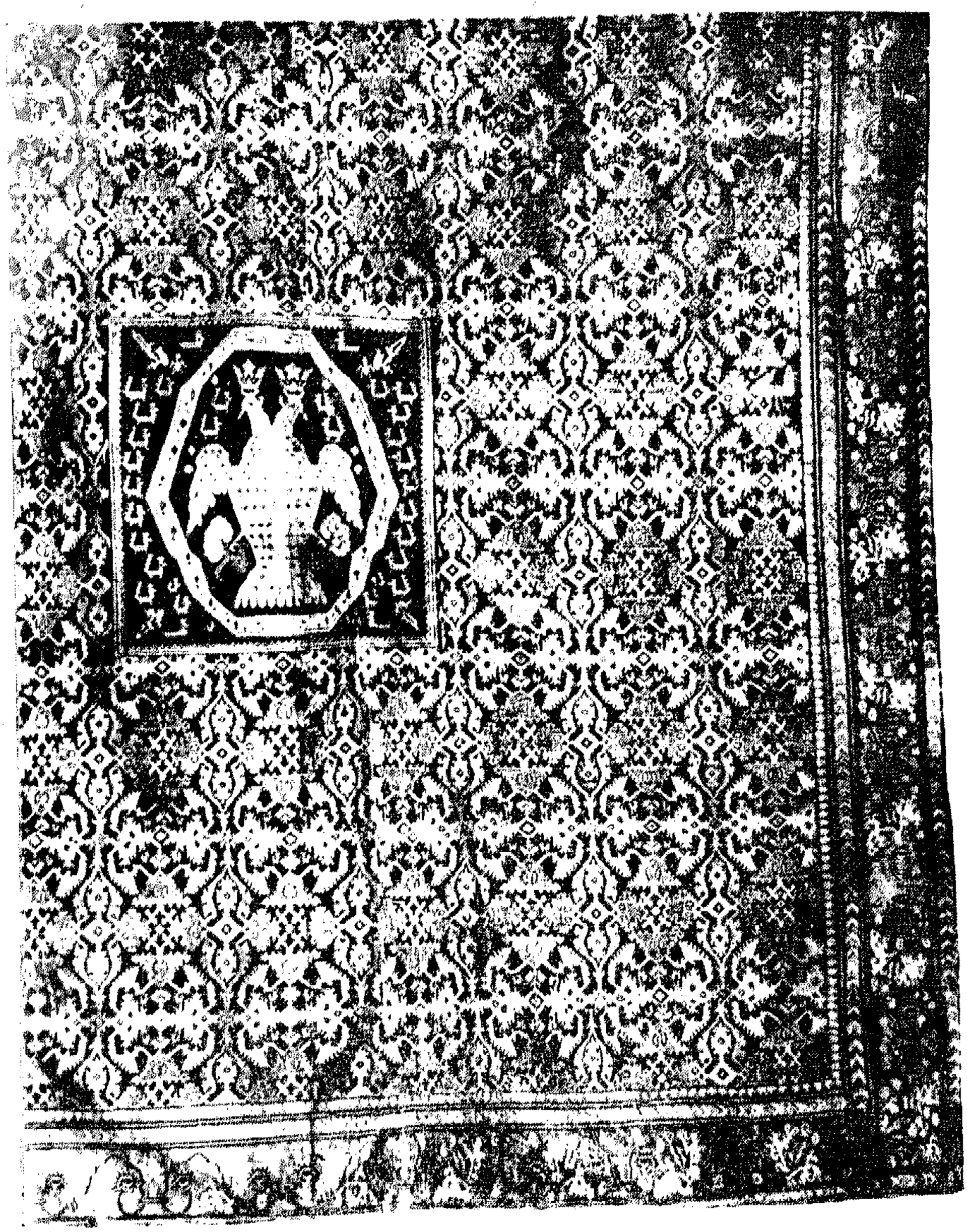

شكل ١٧ : سجادة أسبانية من القرن ١٧ م . يتضح بها التأثير الإيرانى فى الزخرفة

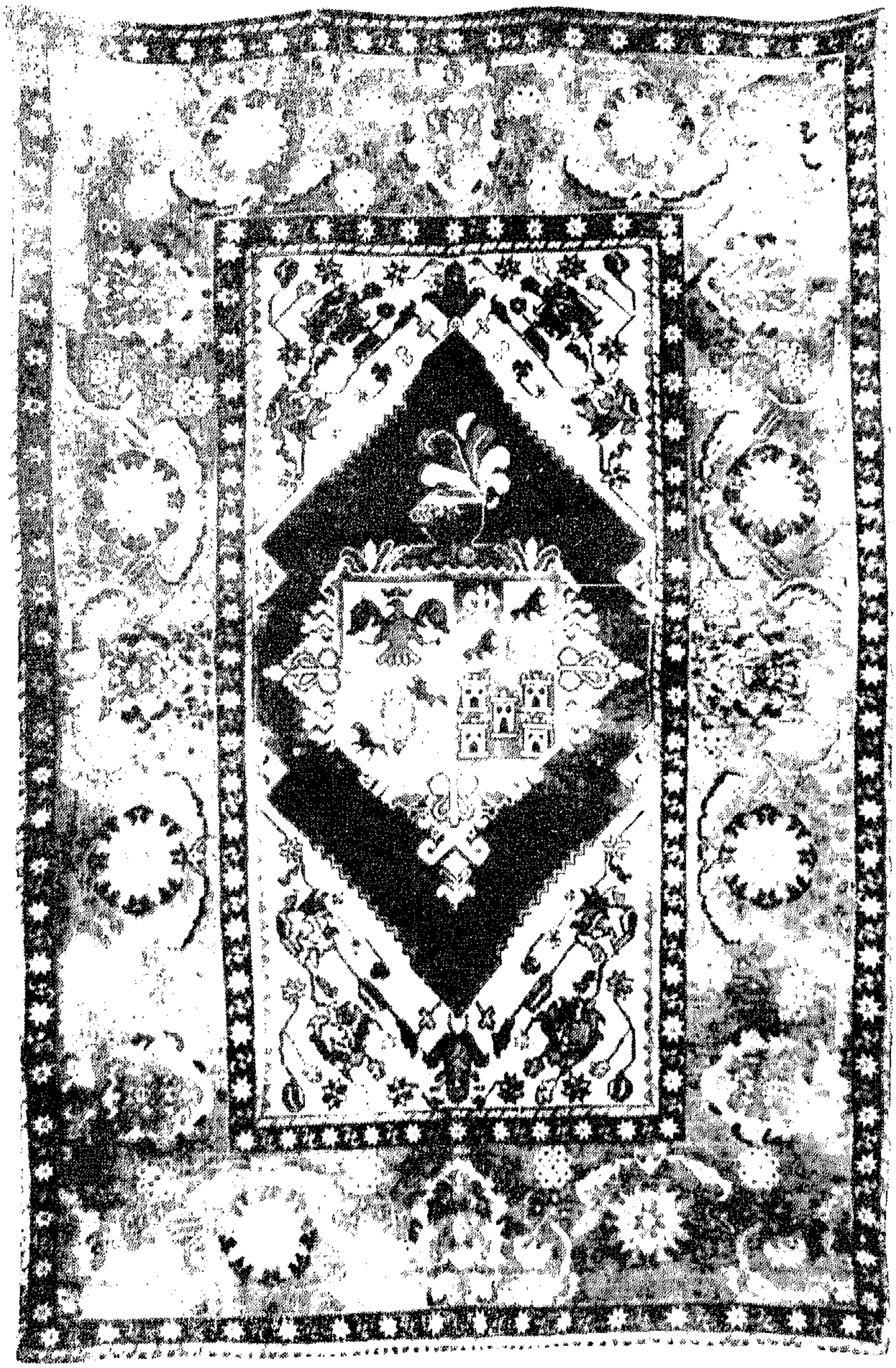

شكل ١٨ : سجادة أسبانية من القرن ١٧ م يظهر بها التأثير التركى فى التصميم والزخرفة